ذو النورين

عثمان بن عفان

رضي الله عنه

(الخليفة الذي قتلته ... **مراسلات مزوّرة**)

كتبه و أعدّه

أ . فيصل الزامل

تولى الصحابي الجليل عثمان بن عفان رضي الله عنه الخلافة لمدة ١٢ سنة كانت مليئة بالإصلاحات الاقتصادية وتنظيم أمور الدولة التي امتدت شرقاً في آسيا ، وشمالاً قريباً من روسيا ، وغرباً إلى منتصف الطريق نحو الأطلسي بين سنة ٢٣- ٣٥ هجري (٦٤٤ - ٦٥٦م).

حجم الدولة في عهد عثمان بن عفان

وخلال الـ ١٢ سنة من عهد عثمان تحققت أمور كثيرة في أول ٩ سنوات ، بينما لا يدور الحديث إلا عن آخر ٣ سنوات وسنعود إليها بعد عرض سريع لأبرز ما تحقق في الفترة الأولى من هذا العهد

في (٥) وقفات :-

أولاً : استمرار انتشار الإسلام في عهد عثمان

وصل الإسلام في عهد عثمان شرقاً (أرمينية ، خراسان ، سجستان) ، ووصل في الغرب إلى قبرص ، و تونس التي سميت افريقيا في عهد حكم ملوك اليمن " التتابعة " لها ، حسب ما جاء في كتاب تاريخ ابن خلدون المسمى بـ "العبر" حيث قال : (سميت باسم إفريقيس بن قيس بن صيفي بن سبإ ، وذكر أن الشاعر ابن مالك قال عن إفريقيس :

سرنا إلى المغرب في جحفل *** يحف أفريقش ذاك الهمام

وكانت جيوش الخلافة في عهد عثمان متوزعة في الأمصار على النحو التالي :

٤٠,٠٠٠ جندي	في الكوفة
١٢,٠٠٠ جندي	في أرمينية
٦,٠٠٠ جندي	في أذربيجان

إلى أذربيجان

ثانياً : حماية حركة التجارة البحرية و أثرها على اقتصاد الدولة

اهتم عثمان بسلامة القو افل التجارية البحرية ، فأنشأ مصنعًا لبناء السفن في عكا و آخر في الاسكندرية التي أنشأها الاسكندر الأكبر و كانت هي العاصمة الرسمية لمصر و انتقلت إلى الجنوب كونها على ساحل البحر و لابدَّ للعواصم من عمق جغرافي تتّقي به الأخطار ، و قد تمّ فتحها في عهد عثمان سنة (٢١ هـ - ٦٤٢ م) بمساعدة قويّة و صريحة من أقباط مصر ، فأمر ببناء أسطول بحري فيها لحماية القو افل البحرية عبر المتوسط .

أوّل دخول بحري للمسلمين في البحر المتوسط

أدت تلك الإجراءات إلى ازدهار اقتصادي في الدولة فانخفضت الأسعار وازداد المرتبات والعطاءات ، ووزعت الأرزاق - التموين - بالمجان في الأسواق للمحتاجين .

- شهد الحسن البصري و ابن سيرين بوفرة الأرزاق ، و تحدثا عن عدالة التوزيع في الفيء ، فروى سالم عن عبدالله بن عمر بن الخطاب أن أباه - عبد الله - قال " لقد عتبوا على عثمان أشياء لو فعلها عمر ما عتبوا عليه " ، وقال مبارك بن فضالة مولى زيد بن الخطاب ، سمعت عثمان بن عفان يخطب في الناس :- " يا أيها الناس ما تنقمون علي ، وما من يوم إلا و أنتم تقسمون فيه خيراً " ؟!

- قال الحسن البصري : شهدت منادي عثمان ينادي : يا أيها الناس اغدوا على أعطياتكم ، فيغدون ويأخذونها و افية ، يا أيها الناس اغدوا على أرز اقكم فيغدون ويأخذونها و افية ، حتى - والله - سمعته أذناي يقول : اغدوا على كسوتكم فيأخذون الحلل ، واغدوا على السمن والعسل ، ثم قال الحسن : أرزاق دارَّة ، وخير كثير وذات بين حسن ، ما على الأرض مؤمن يخاف مؤمناً ، إلا يوده وينصره ويألفه فلو صبر الأنصار على الأثرة لو سعهم ما كانوا فيه من العطاء والرزق، ولكنهم لم يصبروا وسلوا السيف مع من سل ، فصار سيفهم عن الكفار مغمداً ، وعلى المسلمين مسلولاً)* روى ذلك عنه الحافظ ابن عبدالبر ، وقال ابن سيرين . صنو الحسن البصري وزميله وهو أيضاً كان معاصراً لعثمان :- " كثر المال في زمن عثمان حتى بيعت الجارية بوزنها وفرس بمائة ألف درهم ، ونخلة بألف درهم ".

.....

- كلمة الحسن البصري (**فلو صبر الأنصار على الأثرة**) ذات صلة بحديث السقيفة الذي بينا فيه أن بيعة أبي بكر الصديق قد أوقفت طموح الخزرج بقيادة سعد بن عبادة لزعامة الدولة الجديدة ، هذا الطموح تجدد في عهد عثمان في صورة تراخيهم مع أهل الفتنة ، ،(**فقد أغمدوا سيوفهم عنهم**)، كما قال الحسن البصري: و سلّوا تلك السيوف على إخوانهم ، و ليس كمثل الحسن البصري - في تقواه و علمه - شاهداً على عصره .

ثالثاً : جمع عثمان المسلمين على مصحف واحد ، و نشره في جميع الأمصار

تناولنا في حديث سابق الأثر الكبير لأبي بكر الصديق رضي الله عنه في مواجهة الردة عن أركان الإسلام ، ولولا تلك الوقفة لما كان الإسلام الذي نعرفه اليوم موجودًا ، ولتحول الدّين إلى ثقافات محلية ، إسلام في اليمن و إسلام في عمان و آخر في العراق و رابع في الشام ، فقد ادعى النبوة أشخاص طلباً للرئاسة في قبائلهم بغير اكتراث بالرسالة السماويّة الخالدة ، و من أجل تلك الرياسة لم يتورعوا عن هدم أركان الإسلام الواحدة تلو الأخرى لتقريب أهل الأهواء إليهم ، في المقابل ، فقد كانت فضيلة عثمان الكبرى هي إعداد نسخ موحدة من القرآن الكريم الذي جمع في عهد أبي بكر ، و حرق كل ما عداها ، ثم أرسل تلك النسخ إلى سائر البلاد البعيدة ، فتوحد الناس على مصحف واحد الى اليوم .

و قد جاء في صحيح البخاري عن أنس: "أنّ حذيفة بن اليمان قدم على عثمان و قد أفزعه اختلاف الناس في الأمصار في قراءة القرآن الكريم فقال لعثمان " أدرك الأمة قبل أن يختلفوا اختلاف اليهود والنصارى" ، و كان عمر قد جمع القرآن بعد أن تم تدوينه في عهد أبي بكر رضي الله عنهما ، و بقي المصحف محفوظاً في دار عمر، فأرسل عثمان إلى أم المؤمنين حفصة بنت عمر: (أرسلي إلينا الصحف ننسخها في المصاحف، ثمّ نردّها إليك) ؛ فأرسلت بها حفصة إلى عثمان، وأمر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها في المصاحف سنة ٣٠ للهجرة ، و هو المصحف الذي تتلوه الامة الاسلامية جمعاء ليل نهار بلا خلاف لقرون طويلة ، في المقابل لدى النصارى ستة أناجيل ، لم يبدأ تدوينها إلا سنة ٦٤ للميلاد ، وجميعها لم يسلم من التحريف و مثل ذلك حدث للتوراة ، و بذلك تكون حسنة عثمان

الكبرى هي هذا القرار وتنفيذه بدقة بالغة فجمع أفضل النساخين وجهز أكبر عدد من نسخ القرآن الكريم ثم نشرها في الأمصار لمنع الاختلاف على المصحف الشريف .

-قال الإمام علي رضي الله عنه : (أيها الناس ، الله الله ، إياكم والغلو في أمر عثمان و قولكم " حراق المصاحف" فوالله ما حرقها إلا عن ملأ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، جمعنا وقال : ما تقولون في هذه القراءة التي اختلف الناس فيها ، يلقى الرجلُ الرجلَ فيقول قراءتي خير من قراءتك ،وهذا يجر إلى الكفر).

-فقلنا : (ما الرأي ؟) .

-قال : (أريد أن أجمع الناس على مصحف واحد ، فإنكم إن اختلفتم اليوم كان من بعدكم أشد اختلافاً) .

فقلنا : (نعم ما رأيت) .

وعندما تولى الإمام علي الخلافة وجاء ذكر هذا الأمر أمامه قال : (يرحم الله عثمان ، لو كنت وليت هذا الأمر – يعني جمع المصحف – لفعلت ما فعل) .

(المصدر/فتح الباري ١٥/٩) و(البرهان ٢٤/١) و(مناهل العرفان في علوم القرآن -الزرقاني)

رابعاً : معركة ذات الصواري (انتصار بحري باهر ، رغم حداثة العلم بالبحر)

في عام ٣٥ للهجرة (٦٥٥ ميلادي) خرج البيزنطيون تحت قيادة قسطنطين الثاني في حملة بحرية عظيمة مكونة من ٨٠٠ سفينة ، فتصدى لهم أسطول أبحر من الاسكندرية قوامه ٢٠٠ سفينة ، بقيادة عبد الله بن سعد بن أبي السرح ، و التحق بهم جيش الشام بقيادة معاوية والتقوا قرب سواحل الأناضول ،وكان معاوية قد أشار على عمر بن بن الخطاب بناء أسطول بحري إسلامي ولكن لم يتم الأخذ به إلا في عهد الخليفة عثمان بن عفان فانطلقت صناعة السفن ما زاد الحاجة للأخشاب المتو افرة بكثافة في غابات السرو وهو الشجر المستخدم في صناعة صواري السفن، وكان متو افراً بكثافة على سواحل الأناضول ..

غابات شجر السرو في الأناضول

فقرر البيزنطيون منع المسلمين من الوصول إلى تلك الغابات ما أدى إلى نشوب تلك المعركة ، وقبيل أن تلتقي الجيوش جاءت الأخبار إلى القائد عبد الله بن أبي السرح بحجم حشود الروم ، قالت له فرقة الكشافة : (ما كنت فاعلاً حين ينزل بك هرقل - يقصد قسطنطين- في ألف مركب فافعله الساعة) كان يخبره بحشد قسطنطين لأسطوله لملاقاته و يحثه على الإعداد لهذا

الحجم وكانت أعداد مراكب المسلمين يومئذ في حدود مائتا مركب فقط ، فقام عبد الله بن سعد بين ظهراني الناس، وقال : (لقد بلغني أن هرقل قد أقبل إليكم في ألف مركب، فأشيروا علي) ، فما كلّمه رجل من المسلمين، فجلس قليلاً لترجع إليهم أفئدتهم، ثم قام الثانية، فكلمهم، فما كلمه أحد، فجلس ثم قام الثالثة فقال :(إنه لم يبق شيء فأشيروا علي)، فقال رجل من أهل المدينة كان متطوعاً مع عبد الله بن سعد فقال :(أيها الأمير إن الله جل ثناؤه يقول: " كم من فئةٍ قليلةٍ غلبتْ فئةً كثيرةً بإذن اللهِ والله مع الصابرين" ..) فقال عبد الله بن أبي السرح (اركبوا .. باسم الله) ، فركبوا .

وعندما اصطفت السفن عرض المسلمون على البيزنطيين أن يلتقوا في أي مكان على اليابسة فرفضوا لخبرتهم الطويلة في المعارك البحرية وقلة دراية المسلمين بها ،

جرت معركة ذات الصواري فوق أسطح السفن في عرض البحر

فلما رفضوا استشار بن أبي السرح الناس ، وأشاروا عليه بربط سفنهم أثناء المعركة بسفن الروم بعضها ببعض ، حتى صارت كل عشرة من سفن الطرفين كأنها قطعة أرض ، و نشب القتال مثلما يحدث على اليابسة ، والتحم الناس بالسيوف والرماح وكان عدد الصواري كبيراً فسميت المعركة بذات الصواري ، وكان النصر فيها للمسلمين و انهزم الروم وفر قسطنطين بمركبه إلى صقلية ، ولما علم أهلها بهزيمته وتدمير الأسطول البيزنطي تشاءموا به و قتلوه لما ألحقه بهم من خسائر.

خامساً : التسلل ... من بلاد فارس إلى عقر دار الإسلام

بعد أن خرج كسرى يزدجرد من بلاد فارس في عهد عمر رضي الله عنه لجأ إلى سمرقند و أدت كثرة هزائم جيشه إلى استبدال العمل العسكري بأسلوب آخر قام به أشخاص ممن ادعوا الإسلام وتغلغلوا بين المسلمين لوضع الدسائس بينهم ، فلما كشف أمرهم في الكوفة أخرجوا منها ومن البصرة فلجأ قادتهم إلى مصر، تاركين خلفهم من يحرض على عثمان في أمور متناثرة وكان هناك من يستمع إلى هذه الأحاديث غافلاً فيفتن ، و أيضاً كان هناك من يرفض الاستماع لهذا التحريض التزاماً منه ببيعة شرعية لا يجوز نقضها .

انتقل كسرى يزدجرد من بلاد فارس إلى سمرقند

ثم أخذت فرقة التشكيك تنشر إشاعات باطلة عن عثمان رضي الله عنه ، و استغرق الأمر منهم مرحلتين :

(المرحلة الأولى) المرحلة الكلامية ، كانوا يقولون عنه :-

١- لقد حرق عثمان المصحف الشريف ، (سبق بيان هذا الأمر - فقرة ثالثاً - أعلاه).

٢- أشاعوا عنه أنه زاد في مساحة الأراضي المخصصة لرعي إبل الصدقة و بقية أنعام الزكاة، و تقولوا عليه أنه فعل ذلك لرعي أغنامه ، فخطب الناس في ذلك و بين لهم أنه ليس له من الإبل إلا بعيرين لحجة ، و أنه إنما زاد في مساحة الأرض لما كثرت أموال الصدقة واحتاجت إلى مراعي ، وهي لمنفعة الناس كافة ، ولتجهيز الجيوش .

٣- قالوا عنه أنه أخرج الصحابي أباذر رضي الله عنه من المدينة ، فقال لهم أنه لم يفعل بل أن أبا ذر هو الذي أراد الذهاب إلى البصرة و اختار أن يعتزل الناس ، فابتعد إلى خارج البصرة في الربذة ، وأن عثمان أكرمه و جهزه بما يحتاج قبل سفره .

٤- قالوا عنه (لم يكن ممن بايع تحت الشجرة ، في بيعة الرضوان) ، و الحادثة معلومة لدى جميع الصحابة ، فقد أرسل النبي صلى الله عليه و سلم عثمان إلى مكة عندما كان محتبساً في الحديبية ليفاوضهم على دخول النبي و المسلمين إلى مكة لأداء العمرة ، و الأهم من ذلك هو أن السبب في حادثة بيعة الرضوان أن إشاعةً سرت بين الناس بأن عثمان قد قُتل في مكة ، فأخذ النبي عليه السلام من الناس البيعة لقتال قريش إن هم كانوا قد غدروا بعثمان، و بعد أن بايع الناس قال عليه الصلاة و السلام : (و هذه يدي تبايع عن عثمان) ، فالتقت يده اليمنى باليسرى نيابة عن عثمان، وهي كرامة لم تحدث إلا لعثمان رضي الله عنه، ثم نزل قول الحق تبارك و تعالى (لَّقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَ أَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا).

٥- زعموا أنه لم يقتل عبيد الله بن عمر الذي قتل الهرمزان ، والعكس هو الذي حدث ، بل هي واحدة من أفضل مواقف عثمان حيث أمر بإقامة الحد على عبيد الله الذي سمع

من الشهود أن الهرمزان متآمر مع أبولؤلؤة المجوسي على قتل عمر، و مع ذلك لم يقبل عثمان هذا التبرير، و هي خطوة هامة تثبت وجوب إجراء محاكم عادلة يتولاها ولي الأمر و لا يمارس هذه السلطة كل أحد وفق رأيه ، فلما قالوا لعثمان : (قد حدث هذا قبل أن تبايع) ، فقال : (ردوا بيعتكم ، لا أبدأ عهدي بظلم) ، أي أن عبيد الله قام بأمر لا يجوز له القيام به ،و أن (المتهم بريء حتى تثبت إدانته) ، إلى أن قال لهم عثمان : (و الله ليس لكم عندي إلا أن يرضى ولي الدم بالدية) فلما قبل أخ للهرمزان بالديّة نجا عبيد الله من القتل ، بل و دفع عثمان الديّة التي اتفق الناس عليها مع أخ الهمزان ، مضاعفة و معجلة دفعها عثمان من حرِّ ماله ، و قد قال أخ الهرمزان و اسمه القباذان :(فلما ولي عثمان أمكنني منه – أي عبيد الله بن عمر– و قال لي يا بني ، هذا قاتل أخيك و أنت أولى به منا ، فاذهب فاقتله ، فخرجت و ما في الأرض أحد إلا و خرج معي و يطلبون إلي فيه ، فقلت لهم: (هل إلي قتله ؟) ، قالوا : نعم ، و سَبوا عبيد الله ، قلت : (أفلكم أن تمنعوه؟) قالوا : لا ، فتركته لله و لهم ، فاحتملوني ، فوالله ما بلغت المنزل إلا على رؤوس الرجال و أكفهم (الطبري /٥ / ٤٣ -٤٤/ الطبعة الاوربية ٧٢١).

و العجب كل العجب أن يكون **دم من أعان على قتل عمر** أثمن - عند البعض - من دم عثمان و هو من هو في سابقته وزوجتيه من آل البيت ، و بسببهما سمي " ذي النورين" و مع ذلك يستكثرون عليه حق القصاص من قاتليه ، رغم أنه قتل في بيته رافضاً أن يضرب الناس ببعضهم لأجله .

و قد بلغت عدد الأكاذيب ١٩ فرية أبطلها عثمان بالكامل في خطبة جامعة وكان كلما انتهى من واحدة سأل الناس :(أشهدكم الله و الأسلام أليس هذا ما حدث؟) فيقول جميع من في المسجد (اللهم نعم) .

(**الأمر الأهم**) هو أنّ هذه التفاصيل يجب ألا تحجب عنا المشهد الإقليمي للمؤامرة على الدولة الجديدة ، مؤامرة كانت تحاك خيوطها من بعيد ، و ينفذها ممثلوهم في الكوفة و مصر و المدينة المنورة ، و هم مخدوعون غافلون عمن يحيك الدسائس .

(المرحلة الثانية) المراسلات المزوّرة :

كان مدبرو الفتنة قد اختاروا موسم الحج في شوال عام ٣٥ هجري حيث يقدم فيه الناس من جميع الأمصار إلى مكة و المدينة وقد ملأوا رؤوس عدد كبير منهم بالأكاذيب فلما اجتمع هؤلاء مع عثمان في داره و أثاروا المسائل التي سمعوا و جاؤوا من أجلها وجدوه يجيب عليها الواحدة تلو الأخرى حتى انقطعت حججهم ، فقدموا له كتاباً فيه خمس مطالب ، و هي :

- جميع من تم نفيهم من المدينة يعودون إليها .
- المحروم يعطى .
- يوفر الفيء .
- يعدل في القسم .
- يستعمل ذو الأمانة .

ولم يخالفهم عثمان في أيٍّ منها لأنه يفعل ذلك و أكثر، و خرجوا من عنده بعد أن تعهدوا له بألّا يشقّوا عصى الطاعة و لا يفرقوا الجماعة و ساروا إلى بلادهم و هم راضون فلما اتجه حجاج مصر إلى بلدهم و حجاج العراق إلى بلدهم أسقط في يد عصابة التحريض بعد أن فقدوا هذا التواجد الجماهيري الكبير المناصر لهم ، فلجأوا إلى أسلوب جديد يمكن اعتباره الطامة الكبرى التي نكبت الإسلام منذ ١٤ قرناً ، و هو كتابة مراسلات على لسان الخليفة و وجوه الصحابة بغير علمهم :-

١. زعموا أن عثمان أرسل كتابا من المدينة إلى عامله في مصر عبد الله بن أبي السرح يأمره بقتل عدد من العائدين من المدينة - منهم محمد بن أبي بكر- إذا وصلوا إلى الفسطاط وأن يصلبهم و يقطع أيديهم ، رغم أن بن أبي السرح لم يكن يومئذٍ في مصر بل في المدينة ولا يعقل أن يكتب عثمان له كتاباً و هو موجود عنده في المدينة ، وكان الحامل لذلك الكتاب المزور يساير قافلة مصر و هو راكب فرسه ، يقترب منها و يبتعد حتى استرابوا في أمره فأرسلوا من يقبض عليه فلم يقاومهم بل سلمهم الكتاب المزور طواعيةً ، فلما قرأوه رجعوا إلى المدينة بعد مسيرة يومين فوجدوا قافلة العراق قد وصلت معهم في نفس اليوم

وكأنما كانوا على ميعاد ، فلما واجهوا عثمان بتلك الكتب قال لهم :- (إما أن تقيموا شاهدين على ذلك ،وإلا فيمنيني - الحلف - أني ما كتبت ولا أمرت ، وأنه قد يكتب على لسان الرجل ، ويضرب على خطه ، وينقش على خاتمه) ... يعني تزوير كلام ينسب إليه .

٢. نسبوا إلى علي رضي الله عنه أنه كتب لهم ، وكان أول ما فعلوه عندما رجعوا إلى المدينة أن اتجهوا إلى بيت الإمام علي بن أبي طالب وقالوا له :- (ألم تر الى عدو الله ، كتب فينا بكذا ؟ قد أحل الله دمه ، قم معنا إليه) .

قال علي : (لا أقوم معكم) .

قالوا : (فلم كتبت إلينا؟) .

قال : (**و الله ماكتبت إليكم**).. فنظر بعضهم إلى بعض. ، و اكتشف هؤلاء متأخرين أنهم مخدوعون ، وعندما أخبروه بأن سبب عودة المسافرين إلى مصر هو قبضهم على رجل يحمل كتاباً منسوباً إلى عثمان ، التفت إلى ركب الكوفة و قال لهم :- (كيف علمتم يا أهل الكوفة ويا أهل البصرة بما لقي أهل مصر، وقد سرتم مراحل ثم طويتم نحونا ؟هذا والله أمر أبرم بالمدينة) كان يشير رضي الله عنه إلى تخلف مالك بن الأشتر و حكيم بن جبلة في المدينة ، وأنهما أرسلا إلى قافلة الكوفة لترجع وأخبروهم بقصة الكتاب المزور الموجه إلى مصر، فأجابه قائدهم مالك الأشتر: (ضعوه حيث شئتم ،لا حاجة لنا إلى هذا الرجل ، ليعتزلنا) .. وهو إقرار منه بأن تلك الكتب مزورة ، وأن الغرض الحقيقي منها هو خلع عثمان رضي الله عنه وسفك دمه ، وضرب المسلمين ببعضهم البعض. (الطبري – الجزء ٥/١٠٥-١٠٨) .

٣. نسبوا كتاباً لأمهات المؤمنين وصل إلى مصر من المدينة ، زوره في مصر محمد بن أبي حذيفة وملأه بالشكاية من عثمان ، ثم سلمه إلى راكب يتصنع المجيء من طرق المسافرين كأنه قادم إلى الفسطاط من المدينة المنورة ، وأعلن حامله للناس أنه قدم بكتاب من

أزواج النبي عليه السلام يحمل شكاواهم من عثمان و ما يصنع في الناس ، و قرأوا ذلك الكتاب المزور في مسجد عمرو بن العاص ، و شيئاً فشيئاً ، ازداد عدد الحانقين على الخليفة (كتاب ، عثمان بن عفان، للمحقق ، صادق عرجون – صفحة ١٣٢ -١٣٣).

و عندما سُئلت عائشة : (هل كتبت إلى الناس تأمريهم أن يخرجوا إليه ؟) قالت: (لا والذي آمن به المؤمنون، وكفر به الكافرون، **ما كتبت لهم سوداء في بيضاء**).. تعني الخط على الكتب.

وصدقت رضي الله عنها ، فما قيل عنها ، قيل عن بقية أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم زوراً و بهتاناً .

مسجد عمرو بن العاص – القاهرة

كتبوا أيضاً مثل ذلك على لسان طلحة و الزبير رضي الله عنهما بأن عثمان قد غير في سنة الله ، فلما علما أنكرا أنهما قالا أو كتبا شيئاً من ذلك .

لقد حققت تلك الكتب الفاجرة هدفين في آن واحد ، فهي التي أعادت تلك الحشود و الغوغاء لتملأ سكك المدينة و تشيع الفوضى ، كما نجحت تلك الكتب في ضرب الناس بعضهم ببعض ، وكان من أبرز ضحاياها هو محمد بن أبي بكر الذي اشتاط غيظاً لما اشتمل عليه الكتاب الموجه إلى مصر بالأمر بقتله ، و كان هو الصحابي الوحيد الذي شارك في قتل عثمان رضي الله عنه فجثم على صدره و قال له : (على أي دين أنت يا نعثل؟)

*ونعثل هذه سُبّة تُقال للشيخ الأحمق، وللظبي كثير الشعر، فقال عثمان رضي الله عنه وأرضاه: (على دين الإسلام، ولست بنعثل، ولكني أمير المؤمنين) .

فقال : غيّرت كتابَ الله ، فقال عثمان رضي الله عنه : (كتاب الله بيني وبينك) ..

فتقدم إليه وأخذ بلحيته وهزّه منها وقال: (إنا لا نقبل أن نكون يوم القيامة ممن يقول " ربناَ إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا") ، وقال أيضاً : (ما أغنت عنك الآن كتبك؟) .. ما يبين قوة تأثير الكتب المزورة عليه و على غيره من المخدوعين .

فإلى هذه اللحظة ، ومحمد بن أبي بكر الصديق، وبعض أفراد الفتنة يظنون أنهم يفعلون الخير بقتلهم ، أو خلعهم لعثمان رضي الله عنه، فهو يحاول القتل أو الخلع للخليفة طاعة لله، ونجاة من النار، وهذا بلا شك من تلبيس إبليس عليهم.

فقال عثمان رضي الله عنه: (يا ابن أخي إنك أمسكت لحية كان أبوك يكرمها)..

فلما قال له عثمان رضي الله عنه ذلك وضحت الحقيقة فجأةً أمام محمد بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وكأن عثمان رضي الله عنه أزال بهذه الكلمات غشاوة كانت تحجب الحق والصواب عن قلب محمد بن أبي بكر، فتذكر تاريخ عثمان رضي الله عنه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحُسن صحبته له ، وسيرته العطرة مع أبيه الصديق رضي الله عنه، ومع المسلمين، فاستحيا محمد بن أبي بكر رضي الله عنهما، وخارت يده من على لحية عثمان بن عفان رضي الله عنه، وبكى، ثم وقف وتركه ، و انصرف، فوجد القوم يدخلون على عثمان رضي الله عنه، فأمسك سيفه، وبدأ يدافع عن عثمان رضي الله عنه، ولكنهم غلبوه فلم يستطع أن يمنعهم، ويشهد بذلك السيدة نائلة بنت الفر افصة زوجة عثمان رضي الله عنه.

المرحلة الثالثة : مقتل عثمان رضي الله عنه

في صباح يوم الجمعة ١٨ من ذي الحجة سنة ٣٥ هـ ، دخل كثير بن الصلت أحد صحابة النبي صلى الله عليه وسلم، على عثمان وقال له:

(يا أمير المؤمنين ، اخرج فاجلس في الفناء - أي فناء البيت - فيرى الناس وجهك ، فإنك إن فعلت ارتدعوا) ، وذلك لهيبته رضي الله عنه وقد تجاوز عمره اثنين وثمانين سنة.

فقال عثمان رضي الله عنه:- (**يا كثير رأيت البارحة ، وكأني دخلت على نبي الله صلى الله عليه وسلم ، وعنده أبو بكر، وعمر فقال: " ارجع ، فإنك مفطر عندي غداً " ، ولن تغيب الشمس هذا اليوم ، والله إلا وأنا من أهل الآخرة**) ، ثم أمر رضي الله عنه بالسراويل أن تُعدّ له لكي يلبسها ، وكان من عادته رضي الله عنه ألا يلبسها في جاهلية، ولا إسلام، ولكنه لبسها رضي الله عنه في ذلك اليوم خشية أن يتكشف بعد مقتله ، وكان شديد الحياء ، فلبس السراويل ، ووضع المصحف بين يديه ، وأخذ يقرأ في كتاب الله عزوجل .

ودخل عليه أبناء الصحابة للمرة الأخيرة ، فأقام الحجة في حرمة دمه وقال رضي الله عنه : (ولم يقتلوني؟ فإنّي سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: لا يحل دم امرئٍ مسلم إلا بإحدى ثلاث : رجلٌ كفر بعد إسلامه ، أو زنى بعد إحصان ، أو قتل نفساً بغير نفس . فوالله ما زنيت في جاهلية ولا إسلام قط ، ولا تمنيت بدلاً بديني منذ هداني الله له، ولا قتلت نفساً، فبم يقتلونني؟) فلما طلبوا منه أن يسمح لهم بالدفاع عنه ، فأقسم عثمان رضي الله عنه على كل من له عليه حق أن يكفّ يده، وأن ينطلق إلى منزله ، ثم قال لغلمانه:(من أغمد سيفه ، فهو حر) فأعتق بذلك غلمانه ، وقال رضي الله عنه أنه يريد أن يتأسى بابن آدم الذي قال : (لئن بَسَطت

إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللهَ رَبَّ العَالَمِينَ، إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَ إِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ) المائدة:٢٨،٢٩. فكان آخر الناس خروجًا من عند عثمان رضي الله عنه هو الحسن بن علي رضي الله عنهما ، ثم صلى صلاة نافلةٍ ختم فيها سورة طه ، وجلس بعد ذلك يقرأ في المصحف.

في هذا الوقت كان أهل الفتنة يفكرون في قتل عثمان رضي الله عنه بشكل سريع ، خاصة مع سماعهم باقتراب الجيوش الإسلامية المناصرة للخليفة رضي الله عنه من حدود المدينة المنورة.

فدخل رجل يُسمى كنانة بن بشر التجيبي، وكان من رءوس الفتنة بشعلة من نار، وحرق بابَ بيتِ عثمان رضي الله عنه، ودخل ومعه بعض رجال الفتنة، ثم دخل رجل آخريسمونه الموت الأسود، قيل إنه عبد الله بن سبأ وقيل غيره، فخنق عثمان بن عفان رضي الله عنه خنقًا شديدًا حتى ظن أنه مات، فتركه، و انصرف، ثم دخل على عثمان ،كنانة بن بشر الملعون، وحمل السيف، وضربه به، فاتّقاه عثمان رضي الله عنه بيده فقطع يده، فقال عثمان رضي الله عنه عندما ضُرب هذه الضربة : (بسم الله توكلت على الله).

فتقطرت الدماء من يده، فقال: (إنها أول يد كتبت المفصل) ... وكان هو أول من كتب الوحي بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم

ثم قال: (سبحان الله العظيم) .

وتقاطر الدم على المصحف، و تثبت جميع الروايات أن هذه الدماء سقطت على كلمة (فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللهُ)البقرة ١٣٧.

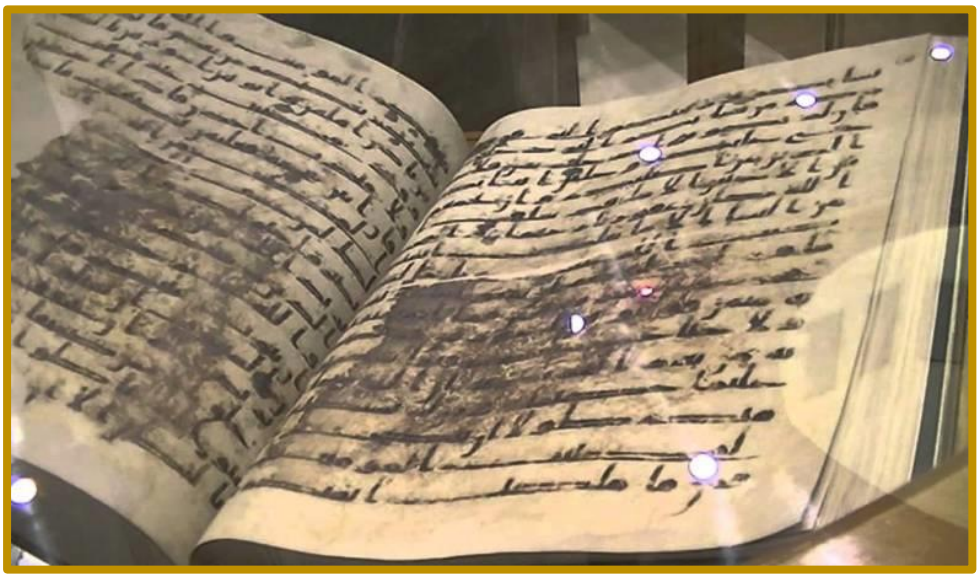

مصحف عثمان الذي كان يتلو فيه قبل مقتله - المصحف حالياً في تركيا

ثم توجه هؤلاء الفجرة الظلمة إلى بيت مال المسلمين ، وحاولوا أن يأخذوا المال، وهذا يؤكد أنه ما أخرجهم إلا حب الدنيا، فصرخ فيهم حراس بيت المال ، ولكن غلبهم أهل الفتنة، واستطاعوا الاستيلاء على أموال كثيرة من بيت المال، وصاح حفظة بيت المال في وسط الدار: (والله إنهم قوم يريدون الدنيا ، وما أرادوا الإصلاح كما قالوا).

أما الجيوش التي كانت على مشارف المدينة مرسلة من ولاة الأمصار، فقد رجعت إلى أمرائها بعد معرفتها بمقتل عثمان وتولية عليّ رضي الله عنه.

- ونُقل إلى الصحابة رضي الله عنهم هذا الأمر، فقال الزبير بن العوام رضي الله عنه: (إنا لله و إنا إليه راجعون) .. ثم ترحّم على عثمان، وبلغه أن الذين قتلوه ندموا فقال: تبًّا لهم ، ثم تلا قوله تعالى (مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ، فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَى أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ)
- ولما بلغ عليًا رضي الله عنه هذا الخبر، كان بحضرته الحسن والحسين وعبد الله بن الزبير، ومحمد بن طلحة بن عبيد الله، فلطمَ الحسينَ، وضرب الحسنَ، في صدره، وسبَّ عبد الله بن الزبير، ومحمد بن طلحة، وقال لهم: (كيف يُقتل، وهو بين أيديكم؟!) فقالوا له : (تسوروا عليه ، و ما دخلوا من الباب) فقال رضي الله عنه : (اللهم إني أبرأ إليك من دم عثمان).. و قال في موضع آخر:(ما فقدت صو ابي إلا مرتين، يوم توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، و يوم قتل عثمان) ، فلما قيل له أن الذين قتلوه نادمين على فعلتهم قرأ قوله تعالى : - (كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ)الحشر:١٦.
- ولما بلغ سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أمْر قتل عثمان رضي الله عنه استغفر له وترحم عليه، وتلا في حق الذين قتلوه (قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ، الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا) ، ثم دعا سعد: (**اللهم اندمهم ثم خذهم**) .

ودعوته رضي الله عنه مستجابة لدعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم له أن يكون مستجاب الدعوة، واستجاب الله عزوجل لدعوته، فما مات أحد من قتلةِ عثمان إلا مقتولاً، وتأخر بعض هؤلاء القتلة إلى زمن الحجاج، وقُتل على يده، ولم يفلت أحد منهم من القتل، وباءوا بشَرَّيْ الدنيا والآخرة.

وقد ترك عثمان رضي الله عنه في بيته وصية كان فيها

بسم الله الرحمن الرحيم

(عثمان بن عفان يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، وأن الجنة حق، وأن النارحق، وأن الله يبعث من في القبور، ليوم لا ريب فيه، إن الله لا يخلف الميعاد، عليها يحيى وعليها يموت، وعليها يبعث إن شاء الله تعالى) .

يرحم الله الخليفة عثمان ، فقد قتل ظلماً وعدواناً ، وكان قادراً على رد العدوان ولكن يقينه بالشهادة التي أخبره بها النبي صلى الله عليه و سلم جعله يرفض أن يقتل أحد من المسلمين بسببه .

أحد أوقاف عثمان في المدينة ، خيرها لا يزال يتدفق بالنفع للناس منذ ١٤٠٠ سنة

ستة دروس من محنة عثمان رضي الله عنه

١. الانشغال التام بالشأن المحلي و الغفلة عن الوضع الإقليمي المحيط بالدولة يساعد أعداء أي دولة للانقضاض عليها ، فهذا الانشغال يحقق " الغفلة" ، و هو كل ما يحتاجه من يعمل بشكل منظم و متتابع لتقويض الدول بغير الحاجة لإطلاق طلقة واحدة ، بل بأيدي أهل البلاد ... الغافلين .

٢. واجب النصح للحاكم إذا أخطأ (شيء) ، و نقض البيعة معه (شيء آخر) ، و هذا النقض لا يحدث دفعة واحدة فالحرب أولها الكلام ، وقد عبر التابعي أبو معبد الجهني عن أساه وندمه وحسرته على كلمات تفوه بها زمن عثمان رضي الله عنه حينما نصحه بها جهاراً ، كان يظن غافلاً أن في عثمان مساوئ ، فتلقف كلماته أصحاب الأغراض والأهواء الذين استباحوا دمه الشريف بتلك الكلمات وأمثالهن ، لذا قال أبو معبد، نادما : (والله لا أعين على دم خليفة أبداً بعد عثمان) ، فقيل له: (يا أبا معبد ، أوَ أعنت على دمه ؟ ، فقال : (إني لأرى ذكر مساوئ الرجل عوناً على دمه) ، ذلك أنه رأى بأم عينه كيف أن ما ظنه وقام في نفسه من أنه الحق قد أدى إلى استغلال الرعاع له حين تكلم به ، وكيف طوروه حتى قتلوا عثمان رضي الله عنه .

ولم يكن هذا التابعي يكره عثمان حين تفوه بتلك الكلمات ، فقد قال عنه ابنه : (كان أبي يحب عثمان) ، إلا أن مثل هذه السقطة لم تحدث لعبد الله بن عمر الذي كان جالساً في المسجد مع بدايات الفتنة حينما كان الناس يكثرون الكلام فيما يشيعه المبطلون ، وكان الجالس إلى جانبه هو محمد بن مسلمة ، فاتح أذربيجان ، فأراد عبد

الله بن عمر أن يشاركهم الكلام ثم كف عن ذلك ، وقال لمحمد بن مسلمة : (لقد زوقت في نفسي مقالة ، و لكني علمت أن الركبان - المسافرين - تحملها عني بما لم أقل ، فكففت) ،أي سيضيفون إليها ، ويحرفونها ، فقال له محمد بن مسلمة : (عصمت) .. و بن مسلمة هذا كان من الشجعان.

٣. التثبت من المعلومة هو أمر هام جداً ،فهناك دائماً إمكانية لغياب المعلومة الصحيحة ليس فقط في الأزمان القديمة بسبب بطء وسائل التواصل بل هذا التثبت هو اليوم أكثر إلحاحاً بسبب الانتشار الواسع لأدوات التضليل الإعلامي بكل أنواعها و أسمائها ، قال تعالى : (إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ) ، أي أن المرء الذي لا يتثبت يكتفي بسماع الخبر **ليس بأذنه و لكن بلسانه** ، و ليس معقولاً ان يسمع المرء بلسانه و لكنه تبشيع لطريقة الاستماع التي لا تكاد أن تصل حتى يعيد المرء الغافل نشرها بغير تثبت .

٤. هناك مكانة خاصة لأهل السبق في الإيمان ، ومن يعرف الفضل لأهل الفضل يستغفر لهم إن أخطأوا ولا يزيد الطين بلّة بالنشر قال تعالى : (وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ) .

فكيف إذا كان هذا السابق هو أمير المؤمنين ؟ وماذا إذا كان مبشراً بالجنة ، ومن ذوي البلاء الحسن في نصرة الدين ؟ ، و هذه الغفلة عن أهمية أهل السبق في الخير - كقدوات في المجتمع - تتكرر في كل زمان للأسف الشديد .

٥. الدوافع لتحريف المعلومات متنوعة ، منها حب الرياسة ، وهو الشيء الذي أهلك ابليس ، (قال أنا خير منه ، خلقتني من نار وخلقته من طين) ، مثل ذلك حدث لليهود حينما وصل النبي محمد صلى الله عليه وسلم إلى المدينة قال رئيسهم حيي بن أخطب لما سأله قومه عن النبي عليه السلام ، ورأيه فيما جاء به ، قال :(والله ما عدا ما جاء به موسى).. أي أنه نبي مرسل ، مثل موسى عليه السلام ، فلما سألوه : (فماذا نفعل؟) قال : (عداوته حتى نموت ، لماذا جئنا إلى يثرب؟)، وحب الرياسة لا يقتصر على شخص واحد فقط بل لمجموعة من الناس ، فاليهود التي ترى أنها أمة الأنبياء ولا ينبغي لغيرهم أن يحوز هذه المكانة ، ففيها يكون النفوذ والسيطرة على الموارد ، وليس أفضل من تلبيس الأمور في القضية الدينية من وسيلة لبلوغ تلك الرياسة ، سواءً عند اليهود أو عند غيرهم .

٦. استباحة دم أي إنسان ليس بالأمر الهيّن ، فضلاً أن يكون إماماً للمسلمين ، وما يجري في العالم اليوم من استسهال للقتل هو ثمرة ضعف إدراك خطورة القتل على مصير الإنسان في الدنيا (بشر القاتل بالقتل ولو بعد حين) وفي الآخرة (لا يزال المرء في فسحة من دينه ما لم يصب دماً حراماً) ، فهذه الاستباحة للدماء تغلق على المرء باب النجاة في يوم عظيم .

.....

تمَّ بحمد الله